

في قصصتي مور و ماتي

السينما طرف في التحقيق وأثارة الأسئلة

علاء المرزقي

تبقى السينما الإيطالية، الأكثر براعة في تقديم ما اصطاح عليه الفلم السياسي لانزمامها بالشكل الواقعي لعرض الأحداث، وإخضاع البناء الدرامي لمستويات التحليل من خلال اعتماد الوثيقة بشكل أساسي.

وان كان هذا النوع من السينما واعني السينما السياسية قد طبع السينمائي الإيطالي والعالمي خلال ستينيات وسبعينيات القرن المنصرم بشكل مشكلا بذلك ظاهرة سينمائية ما زالت حتى الآن قيد التحليل والدراسة، فان مؤرخي ونقاد السينما يوصفون عند قليل من هذه الافلام التي استوتت بجدارية مواصفات الفيلم السياسي، خاصة مع اختلاف وجهات النظر في مفهوم هذا النوع من الافلام بالنسبة لدارسي السينما، والذي يتحد في ضونه طبيعة ومواصفات الفيلم السياسي.

ويتمتع الفيلم الإيطالي الجديد (ساحة الاقمار الخمسة) للمخرج رينو مارتينيلي الى نوع الفيلم السياسي، الذي يتناول السياسة ويختارها كموضوع درامي ويكون مضمونها متصلا بشكل او باخر بالقضايا المهمة المعاصرة.

وعيد موضوع هذا الفيلم اثارة التساؤلات حول واحدة من أشهر قضايا الاغتيال السياسي التي حدثت خلال سبعينيات القرن المنصرم وسفقت لوطاليا والعالم ونعني بها قضية اغتيال الدومورو زعيم الحزب الديمقراطي المسيحي.

وموضوع الفيلم يبعثنا بتشاباه الموضوع المعالج الى احد نتائج السينما الإيطالية وهو فيلم (قضية ماتي) 1972 بتوقيع الخرج الإيطالي الكبير فرانيسكو روزي، الذي يتناول المحطات الحاسمة المتعلقة بحياة ومصير المهندس ايريكو ماتي رئيس الشركة الإيطالية للتفتحة السائلة والذي تجرأ على الدخول في معركة مكشوفة مع (الشقيقات السبع) اتحاد ملوك النفط الذي تترجمه الاحتكاكات الأمريكية، وحاول خرق هواتين الاحتكار، وكانت النتيجة موته بشكل مأساوي وغامض خلال كارثة جوية.

أكثر ما يجمع فيلم (ساحة الاقمار الخمسة) لمارتينيلى



الحوار بعني وجهات نظر مختلفة، ويتم للتوصل الى قواسم مشتركة بوصفك شاعرا كبيرا هل ترى ان افكارك تتقاطع مع الجانب العربي ام الاوروبي؟

* بالضرورة انا مع الجانب العربي، لكن لدي وجهات نظر خاصة داخل هذا الجانب، انا في الواقع العربي، ومن هذا الموقع احاور الغرب، ويمكن ان تكون لي وجهات نظر خاصة وشخصية وهذا طبيعي، تختلف او تتنوع بحسب الحالة من الحوار العام بين العرب ولوريا.

* في البداية تلقينا ادونيس سوريا، وبعد فترة تعرفنا عليه كوسميو لبيتيا، والان نراه فرتنكو فونيا، هل هذا التطور هو ذاته الذي تكلمت عنه، حين قلت ذات مرة ان الالفي التي لا تغير جلدها تموت؟ انا كان الامر كذلك فهل يتوقع ان تأتي ادونيس يوما وهو يضع على راسه قبعة نكلو ساكسونية؟

انت قرأت ادونيس على مستوى القبعة على ما يبدو، فهل قرأته على مستوى الجسد؟ لو قرأت ادونيس جيدا لما وجدت فرقا على المستوى الجوهري، ادونيس الفلاح من قرية فقيرة هي فضابين، ادونيس الجالس امامك، الهوية العميقة هي التي تصنع نفسها باستمرار عبر الاخرين، فلو قلت انت سوري، فسوري وعربي لا تتحد هويتك فانك هنا سوريون، الطريق والسجرة واي كائن. هذه هي هوية التعريف، عندما تقول لانا سوري

اسالك ماذا فعلت؟ وما هو فكرك؟ وما هو ابداعك، فكون الهوية سورية لا يعني اي شيء، اسأل دائما عن الهوية العميقة، وعن الفعل الحقيقي وعن الكتابة الحقيقية. انت لم تقرا ادونيس على هذا المستوى لمارقته اعلاميا.

* كيف هي علاقتك بمحمود درويش، قبل انكما تبادلا الاعتراف في برلين؟

لم يكن هناك في اي وقت هذا التجاهل بيبي وبين الشاعر محمود درويش، فهو اكثر من صديق، هو اخ وصديق وعشنا معا كل حياتنا، منذ ان اتى الى بيروت في السبعينات كنا دائما معا، وفي كل المناسبات، لكن مثلنا يحدث بين الاخوة احيانا من تناظر، لا بد ان يحدث بين الشعراء، ومع ذلك لم يحدث ليما كما اتبع، وانا استغرب كيف تشاع هذه الاخبار عن نوع من الخلاف بيننا، ولو كان هذا صحيحا لما كنت احتفيت به وقدمته في برلين، ما كان شأننا هو من نوع الرغبات العكسوة عند بعض من يريد ان يقسم هذا الغداء بيبي وبين محمود.

* هل ترى الشعر العربي الحالي اصبح قديما لطرح شكل شعري جديد؟

- اسئلة عامة من هذا النوع تصعب الاجابة عنها، فحين نقول قصيدة حديثة عربية، اما ان تعني السعد الزماني هنا فكل ما يعاصره يمكن ان يدعى حديثا، او ان يكون بالاعني العمقي، هناك من يشدد على شكل التعبير،

الشعر يوحد البشر في ما وراء اللفظة ادونيس

اشخاص يشددون على الحداثة، والبعض يشدد على مضمون التعبير، والبعض على الانزياح معا، هناك من يربط الحداثة بالتراتب العربي، والبعض يربطها بالتيارات الغربية. شكل الحداثة في سورية والعراق مثلا مختلف عن اشكال الحداثة في المغرب والفاخرة وتونس بحيث هذا الموضوع في اطاره العام لا يمكن ان يؤدي الى نتيجة دقيقة وملموسة يمكن القول ان هناك اشكالا حديثة ثم صارت قديمة وهناك اشكال حديثة لا تزال حديثة فلا بد من امثلة محددة من شعراء محددين عبر نثاجهم، معربا يستحيل الوصول الى جواب نهائي واخر. العمل والكتابة كالانسان نفسه، سلسلة من التساؤلات لا تنتهي، وانا كان هناك جواب فهو جواب نسبي ومؤقت، واعتقد ان هذا الفهم يبدأ بالدخول في الثقافة العربية، فلم يعد هناك تحديد للشعر كما كان سائدا ايام زمان، ان الشعر هو الكلا الموزون المقتضى الدال على معنى، هذا التحديد انتهى. سر عظيمة الشعر ان لا توجد حادثة او قادمة، الاول في العمق انه لا توجد حادثة او قادمة، فالتناجح والنظر يات لتسهيل هيل المدرس والتصنيف فقط، فهل يمكن القول ان شعر ابي نواس قديم؟ يستحيل، وهل يمكن القول ان شعر رامبو قديم وهذا اصبح كلاسيكيا؟

الاشباع حديث دائما، انما ارباب شعرا عظيمي فهو حديث بمعنى انه حين نتفوه يغاطبك ويحاورك وترى مشكلاتك عبره، او

تتطابق مع عالمه الداخلي، واصل هذا الابداع الى ذرته فلا يقلد. وكل واحد يعيد عن الآخر، لذلك كل شعراء العالم الكبار يعيشون في غابة واحدة او في مكان واحد. فنحن في هذه القاعة اجيال مختلفة، ومن ثم عقليات مختلفة، لكن كلنا نشترك بهموم واحدة نعرعنا كل على نحو خاص به. وهكذا الشعراء.

لنا ان المتنبي والمعري وهو مبروس وجلاش يعيشون في بيت واحد، وغاية واحسدة متجاوزين ومختلفين ولكنهم مؤتمنون، وبهذا المعنى لا شيء، اعني الشعر في توحيد البشر الشعر مثل الجب، فاننا يتحاجبان بمرغم انهما من عالمين مختلفين، نحب جعلهما بشرا واحدا.

الشعر هكذا يوحد البشر في ما وراء اللفظة وفيما وراء الالتماء القومي او العرقي، وفيما وراء الانتماء الثقافي.

لهذا انا كان هناك شيء مهم وعميق ومجاني ايضا وانساني بالاعني المحض للكلمة فهو الابداع الفني اجمالا، والابداع الشعري بشكل خاص.

الشعر ليس لديه مصلحة الالجب، او اللقاء بين البشر.

قصة قصيرة

هواجس

يقف على حافة الرصيف، ويعد ذراعه في هواء الشارع، يشير بها لسيارات الأجرة العابرة. تهدي أحداها من سرقتها، تنحرف نحو الرصيف، وتقف أمامه، ويفتح باب السيارة ويصعد. يجلس بجوار السائق، يضع حقيبة الأوراق في حوضه، ويذكر للسائق اسم المحلة التي فيها بيته. تنطلق به السيارة. يريح يديه على سطح الحقيبة، ويغض عينيه، يشعر بتعب شديد. بعد مرور ساعة، يدخل حجرة فندق، يتنقل بين ممرات، ويدخل حجرة عادية، طابعته وجود غير ودودة، لكنها تحدد عليه، لسبب مجهول، وضع اسمه وتوقيع على استمارات عديدة، ذكر فيها اسم أمه وأسماء أقربه من الرجال والنساء، القريبين والبعيد، وبينه وبين حديقته، ثلث أمه رحلات أخرى، من هذا الدوران العبيث الرهق لا يعرف عددها. الله كم بقست هذه المراجعات! ولكن ماذا يوسعها ان يفعل! معجم، كل هذا الحسد من الناس، وكل واحد منهم يريدك مشبهه بمعاملته بسرعة، ماذا يوسعهم ان يفعلوا؟! لا يملك الواحد منهم غير يدين اثنتين فقط!

وجه السائق، الذي بدا له، في البدء، سمحا يبعث على الثقة، تغير في نظره الآن، وغدا وجهها مختلفا يسهمت على الرية، اكيد ان سيطرة السيارة ليست عدم الرضا. حاول ان يتسهم دائما، حتى وانت تستعمل من الداخل! لم يترك احد اسمها، فقلت ولكن ما كان يوسعها ان يتسهم .. هذا كثيرا!

يسمع السائق يتكلم بجوارحه. "استاذ، يبدو عليك التعب" ويفتح عينيه، وينظر اليه، وجهه السائق يبدو سمحا، يبعث على الثقة، فيعترف له بهمومه.

"اي والله ياخي، قلت ان تصور كم لنا تعبنا! انزل اصبعد انزل، روح من هنا وتعال من هنا! انكوتني!"

"من هم استاذ؟"

"هو، لا الموظفين، الذين سيديهم امور الناس"

قال له السائق متعاطفا: "انا معك تماما، استاذ، فهم لا يكترون بمعاناة الاخرين!"

هذا كلاما، الاتفاق سوف تبني، حالنا تنوفر الاموال".

السائق يرنو اليه سامتا، بتلك النظرة الغريبة المتحفظة، كأنه يحاول ان يخور في اعماقه، يراه يخرج علبه سجائره، ويبدأ يده اليه، يقول له: "شكرا، انا لا ادخن".

"هل يضرك ان دخنت، استاذ".

لا، اخي، دخن براحتك، في الحقيقة هو يكره دخان السجائر .. يسببه له صداعا، ونوبات صرع، لكنه لم يضا ان يعترض على رغبة السائق، خوفا من ان يمتدحه، ويتخذ منه موقفا ليس في مصلحة، وساطة النقل، ما تزال واحدة في مكانها، محررتها تدور، وبساطة السيارة تحبها بالسداد، وهو يكاد يخرق، يمشي نوبة صرع، يقول السائق متعظا: "انا ايضا، استاذ، قلت ان الدخان لا يؤذيك".

"لا استاذ، هذه نوبة صرع عابرة، بسبب دخان السيارات".

لكن السائق يظن سيجارته في منفضة الرامد امامه، ويقول متعظا: "اكرر راسي، استاذ!".

يحاول ان يكون ناعما معي لكي اطمئن اليه، ولكن الست اتهم اشياء، لا وجود لها، الا في راسي، وهذا السائق ليس سوى رجل مسكين يكبح النهار كله، من اجل ان يعيل زوجته واطفاله! ويفتح الطريق اخيرا، وتتحرك طوابير سيارات، بعد طويلا متوحج، يكاد يكون خائيا، من وساطة النقل، يبهين استملا، صمت لا يسمع خلا له غير الصوت الخفيض للمحرك، واحتكاك الحجلات على اسفلت الشارع، وهبوب الريح غير ان السائق يخرق الصمت بفتحة.

"استاذ، هل انت محام؟"

"لا، فظنك محاميا".

"استاذ في الجامعة اذن".

ان قلبي في محله من انه يمتحن السياسة فتنازع يخطى وراءه، انه يخطى معي اننا يبريد ان يعرف كل شيء عني! يدفع للسائق اجرد .. يحمل حقيبته

في المرحلة الزرقاء لوزي الزرقاء سعد القصاب

كانت خيبة أمل مضاعفة، أصيب بها عشرات التشكيليين العراقيين، الذين حضروا اللقاء مع وزير الثقافة في النظام السابق، نظمته (الؤسسة الفنية) بتاريخ 1995/6/5، يدعو الحوار ومناقشة الكثير من المهوم المهنية والثقافية التي كانت تثقل الفنان كما كانت تربك واقع المشهد التشكيلي في تلك السنوات القليلة. لقد بدأ البعض من الفنانين يشعرون بالحسرت على تفاصيل صومعنا من صومعة العيشة اليومية حتى غيابه أدوات الرسم والنحت، فيما دون البعض الآخر ملاحظات ومطالب بشأن تيسير انتقال العمل الفني والمعاملة بمماركات المعارض الشخصية والاشتركية خارج العراق، وكان الأكثر نقاشا لهم، من حمل بعض أسئلة تطوير واقع المؤسسة الفنية، وعلى الرغم من ان الكثير منهم كان يلبس فلا شيء، يمكن ان يحدث او يتحقق، لان ان حضور تسوية العيبة جاءت ضرورته من (المن



الرسيف، حقيبته تتدلى من يده وذراعه الأخرى ممدودة، يشير بها لسيارات الأجرة العابرة، فأوقف سيارته أمامه، بسعد ان جالس الرجل بجواره وضعا حقيبته في حوضه، ذكر له اسم المحلة التي يريد الوصول اليها، ثم اطلب حقباته، بسا متعظا بسعد ان اغضض عينيه او تخط ملامحه، ولاحت على وجهه مظهرا بمرارة، وخلافا لعادته فتح معه حقيبته، كان ضجرا .. قال له انه يسعد متعظا، عندئذ راح الرجل يتذمر، وهذا ماشجعه، فيما بعد، عندما جرى الحديث عن لرحام، وسنا، الاتفاق، ان يتفوه بتلك الكلمة الرعنا، وعلى الفور احس انه ارتكب غلطة شنيعة، عندما رآى الرجل يرنو اليه بسخرية غريبة متفحصة، ويمتدح ما قال، شعر بالحاجة الى ان يتذخر وعرض عليه علبه سجائره ليأخذ منها، كان يحاول ان يكون ودودا معه غير ان الرجل قال له لا يدخن، وان النخان لا يؤذي .. لانا فقال ذلك؟ هذا ما لا يستطيع فهمه، اذ ما ان اخذ يدخن حتى تماكنت الرجل نوبة عنيقة من السعال وراحت ترح جسدك، فسارع هو يظن السجارية ويعتذر منه عندما ساوره السئسك في امره، وحاول ان يعرف طبيعة عمله، راح الراكب يراوه، ثم طبع انه موظف متقاعد من زمان، وونه لا يتقادر بيته الا نادرا، متقاعد وهو في هذا السن! الا اذا كان عليه ان يتجاوز الاربسين، الا اذا كان احيل على التقاعد لاسباب صحية، نعم هذا ممكن، لعلي اسئسك الظن بالرجل، واحسسي بالخوف والقلق ليس مبررا لاطلاقا، لئما يتقوم على وهم تصخم في راسي، مثل بالون يملؤه هواء الطنون، والرجل كما قال، ليس سوى موظف متقاعد، طيب القلب، اهضته مراجعات لا نهاية لها، وتتر هافنجر يدخل في احسانها مع الراكب، وان يركز حله، اهتماما على الطريق امامه، بتلك الكلمات المشككية وما كان يخطط لاستكراهه لكلام من اجل الايقاع به.

هو كان سيمترض هذا، لو لم يشاهد في المرآة الصغير امامه، الراكب عد نزوله، يظلم شعرا على الرصيف، يولي عنيقه، ويحدث بتركيز الى ظهر السيارة المتبقلة من اجل ان يحفظ وهم اللوحة، لكي يستدلوا عليه منها ويعرفوا عنوان بيتها.

لم يكتف لاسر اشارات اليه بالتوقف، وفي شارع اخر مر سائرا برجلين اراده ان يقبهما، وراح يوجب شوارع المدينة شارد الذهن مهموا

فقد تضمن تصريحات سبئة عن تاريخ حركتنا التشكيلية، ووجهة نظر مغلظة لو معناها، وهو تصور يكتف روجية التعامل والية التعاطي الذي تضررت من خلاله الحركة التشكيلية في العديد من مظاهر حضورها وتوحيد لغاتها، ولاسيما في العهد السابق، وتوجيهها عبر خطاب احاديث تكيف ليما احتكاك الصواب الذي غذى بدوره (وهما) لم يجعل صاحبه مكتفيا بمسؤولية ادارة العمل الثقافي والفني، فصب بل مشرعا لتاريخ والحاضر على حد سواء، وهو امر لم يمتعه اليه احد من قبل، ليس عن حكمة وبالتاكيد، بل بدافع الاستحواذ حتى على فكر الاخرين وحفظهم.

اساءة متعمدة

عدا ما تضمنته الحاضرة المذكورة، والتي تم طبعها بعند بكراس صغر، من تنقلاته، وتعريف انساني بسبب التحول الذي اصاب الحركة التشكيلية العراقية خلال تاريخها الذي يطارق فرنا من الزمان، وعدا تلك المنهجية والتقريرية في تبيان ما يمكن ان يكون عليه الفنان البدع ... بعض وزير الثقافة السابق، الجبل الثاني من الفنانين الرواد (فائق حسن، عماد صبري، حافظ المرسي، جواد سليم) بعد دراسه لهم للفن وعودتهم من اوربا بانهم قدموا نوعا من الرسم (النصف غربيا)

الفنانين في الحديث عن أنفسهم، ومحاولة إيصال صوتهم، من أجل تجاوز الشعور بالانحلال والاحباط الذي لحظوا له.

معاذرة وملاحظات

القول، ما ضاعف خيبة كيدته، ان ما حصل في ذلك اللقاء لم يطرأ في ذهن أحد ليس ان الوزير السابق لم يرغب في الاستماع للمتعدين، بل لأنه فاجاهم بالقاء، معاذرة فنية، كان قد ساءها. (هل الحركة التشكيلية في العراق على مفترق طرق؟) مناورة جعلتني في حيرة من امرهم، وغيبق امهلي في الحديث عن اي شيء .. لا تصد فوجئنا، وزير الثقافة اضحي ناعدا، للفن، مستعدا على هذا النحو لشكاوى الفنانين وملاحظاتهم، لكن ما تم طرحه في هذه الحاضرة الزوارية كان هو لهم.

